١٢

المعرّب والدخيل : نحو تقعيد جديد

أ.م.د. غسان إبراهيم الشمري

أسباب اختيار الموضوع

نظرًا لكون ظاهرة المعرّب والدخيل أولاها علماء العربية العناية الكبيرة قديمًا وحديثًا وتم تناولها بالبحث والدراسة كدراسة الخليل وسيبويه وابن دريد وأبي حاتم الرازي وغيرهم، والجواليقي الذي أفرد لها الكثر من البحث في كتابه "المعرَّب من الكلام الأعجمي" الذي جمع فيه بالبحث ما يتعلق بجمع الألفاظ المعرّبة ونتيجة توالي المؤلفات في المعرّب والدخيل الأمر الذي حدا بيّ لخوض الكتابة بهذه الظاهرة .

وفيما يخص إشكالية هذا البحث لكون قضية المعرّب في القرآن تُعد واحدة من أهم الإشكاليات التي تم طرحها في التراث الإسلامي، حيث نجدها قد خلفت تراثًا كبيرًا بين اللغويين والأصوليين إذ وجدنا إسهاماتهم تدعونا للبحث في هذه القضية بكل جوانبها المتباينة والمختلفة.

ولذلك هدفت دراستنا في هذا البحث لمعرفة المعرّب والدخيل ومعرفة تلك المبالغات في كتابة العلماء المختلفة لهذه الظاهرة خاصة فيما يخص إلحاق الألفاظ العربية الأصلة بمصادر أخرى. وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحللي.

المقدمة :

اختلط العرب بالأعاجم منذ العصر الجاهلي، لأغراض سياسية وتجارية واجتماعية، وقد كان من نتائج هذا الاختلاط أن فشت عند العرب ألفاظ كثيرة من الدخيل، ودخلت في اللغة العربية مئات من الكلمات من لغات شتى، وتكلمت بها العرب، وأوردها الفصحاء في كلامهم، وذكرها الشعراء في أشعارهم، وتأثرت العربية باللغات الفارسية والحبشية والآرامية وغيرها، والسبب في ذلك، أن تلك اللغات كانت تمثل حضارة ذلك العصر ومدنيته .

وإن البحث في ظاهرة اقتراض الألفاظ بين اللغات أمر طبيعي يحدث نتيجة الاحتكاك المادي والثقافي ويؤدي إلى تفاعل اللغات وتجاورها، ولغتنا العربية ليست بدعًا بين اللغات، فلم يكن أصحابها معزولين عن الاختلاط بالأقوام المجاورة لهم، ولا كانت هي بريئة من

التأثير في اللغات أو نقية من التأثر بها، ولقد أثبت البحث العلمي أن العربية أعطت هذه الأمم – وخاصة بعد الإسلام– أكثر مما أخذت منهم بكثير، بل إن بعضها قد أخذ من الحروف العربية رموزاً للكتابة في لغته، وما زال يستغلها إلى اليوم، فضلاً عما أخذ من الألفاظ العربية ، ووجود الدخيل في لغتنا العربية هو صورة لظاهرة عامة في كل اللغات، فهي جميعاً تستورد الدخيل بحسب حاجتها، ويتسرب إليها أيضاً رغم أنفها، إذ لا يكاد يعقل أن تتم عملية تبادل حضاري غير مشفوعة بتبادل لغوي في الوقت ذاته .

ولا شك أن اقتراض الدخيل كان أمراً متوقفاً على ما تمليه طبيعة الحياة العربية بعامة غير مرهون بالحذر والتحفظات المبكرة المتصلة بتصور الخطر على اللغة، وخاصة في المرحلة التي تسمى بالعصر الجاهلي، وقد ازدادت فرص الاحتكاك بين العرب والأمم المغلوبة بعد الفتوحات الإسلامية، وقد نجم هن هذا الاحتكاك، وعن التطور الطبيعي للحضارة العربية أن ظهرت مستحدثات كبيرة، لم يكن للعرب عهد بها من قبل في ميادين الاقتصاد والسياسة والاجتماع والإنتاج الفكري، فانتقل من جراء ذلك إلى اللغة العربية، عدد كبير من مفردات اللغات الفارسية واليونانية في ألسنة فصحاء العرب أنفسهم خصوصاً في العصر الذي اصطلح على تسميته بعصر الاحتجاج .

ونظرًا لما حظيت به هذه الظاهرة من اهتمام اللغويين؛ لارتباطها بالقرآن الكريم لذا تناولها المؤلفون في كتبهم وعالجوها، كسيبويه. وأفرد لها بعضهم أجزاء من مؤلفاتهم، كابن دريد في الجمهرة وابن سيده في المخصص. وبعد ذلك ظهرت كتب مستقلة تناولت ظاهرة المعرَّب في اللغة العربيَّة، ككتاب " المعرَّب" للجواليقى.

وسنتناول في هذا البحث

أولًا: أسباب فشوّ الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية وأسباب التعريب .

ثانيًا: مفهوم المعرّب والدخيل : لغة واصطلاحاً .

ثالثًا: الاتجاهات والمعايير المستخدمة في تحديد دلالة مصطلحات"المعرّب، الدخيل، المولد ".

رابعا: المعرّب والدخيل في القرآن الكريم والحجج الدائرة حول ذلك.

خامسًا: ضوابط لمعرفة الدخيل.

أولًا: أسباب فشوّ الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية وأسباب التعريب

نلاحظ أن من أسباب فشوّ الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية تعود إلى حاجة العرب إلى الدخيل والتي أملتها طبيعة حياتهم الناقصة حضارياً لا طبية لغتهم الناقصة دلاليا أو تركيبا وبنية، وغن ميل العرب إلى استعمال الكلم الدخيل عوضا من الأصيل يمكن تفسيره بجملة أسباب منها :

١- سبب لغوي لفظي يتصل بما للكلمة من خفة وجرس ووقع أو قبول وذيوع بين الناس، ومثال ذلك "التلسكوب " عربيّها " المراقب" ك وهو آلة تنظر بها الأجسام البعيدة، وغلب استعماله لرصد النجوم.

٢- سبب اجتماعي له صلة بطبيعة العلاقات التبادلية لمختلف الماديات بين العرب والأقوام الأخرى، فيكون في استخدام العربي لها وسيلة إيصال وأجدى في التعامل والتفاهم.

٣- سبب مادي يتعلق بجودة الصنف المسمّى، وشكله وممزاته، فقد يختلف هذا الصنف من قوم إلى آخر، والأفضل أو الأكثر قبولاً وجودة بين الناس ينتشر مع اسمه العربي إن كان عربيا أو الأعجمي إن كان أعجمياً، ومثاله "لاكاجو" وهو نوع من الخشب الايطالي المميز، و "الكشمير" وهو نوع من الصوف المنسوج تنتجه الهند، و "الموسلين" وهو نوع من الحرير العراقي الرقيق، نسبة إلى الموصل.

٤- إن سبب هذا الاقتراض لم يأت غالبا عن طريق الاختلاط، وغنما عن طريق أخرى أهمها الاتصال عبر التجارة ورحلة الشعراء والزعماء إلى المواطن الأجنبية. كما أسهم اتخاذ الجواري والخدم لإدارة المنازل منذ بداية الفتوحات، والاختلاط الواسع بسكان المصادر

الجديدة من جميع النواحي الاقتصادية والإنسانية، وامتزاج الكثير من الأسر عن طريق التزاوج والسبي، في الإسراع في ظهور المولد .[i]

٥- ربما كان التلفظ بالاسم الأعجمي، عند بعض الناس محل مباهاة تُزين لهم سعة المعرفة والاطلاع، وتجعل منهم محل إعجاب وموضوع ثقة وإنصاف.

وهناك من الباحثين الذي يهتمون بتعريب المصطلح يدعون إلى وجوب استناد التعريب كوسيلة من وسائل وضع المصطلح وعاملاً من عوامل تطور اللغة وسببًا في رفدها وإثرائها بالجديد من المصطلحات والمسميات الحديثة. إلى أسباب علمية يمكن أن نجملها بـ:

- أن يتوجب ترجمة جميع الألفاظ والمصطلحات الأجنبية إلى اللغة العربية عند وجود ما يقابلها وما يؤدي معناها في لغتنا.
- كتابة المصطلحات والكلمات الأجنبية بأصوات وأشكال عربية تلائم الذوق العربي.

وهذه الأسباب العلمية ما هي إلا سوى وسيلة سليمة تحدد موقع التعريب ضمن الوسائل الأخرى التي تمكن من وضع المصطلح. وهي وسيلة سليمة تفضل الترجمة أولاً، ثم تقفي عليها بالتعريب مع تقييده. وكل ذلك أعطى مسوغات لتوظيف التعريب في نقل المصطلح الأجنبي الحديث فكونه يتعلق بالتعريب ذاته، فهو موجود مع وجود اللغة ومن ثم هو ظاهرة تلازم اللغة. ولأن اللغة تتطور فمن بين وسائل تطورها التعريب. كذلك التعريب من مسوغاته ما يتعلق باللحظة الحضارية ومنزلة المجموعة البشرية التي تتكلم اللغة اللاجئة إلى التعريب، ومنزلة لغة هذه المجموعة من منزلة المجموعة نفسها. وفي هذه الحالة تلجأ اللغة لسد النقص الحاصل إلى التعريب.ويكون تابع للاستعمال وقوته والتداول واتساعه، ومن ثم فشرعية المصطلح المعرّب وبقاؤه يستمدان من الاستعمال والتداول. [ii]

ثانيًا: مفهوم المعرّب والدخيل : لغة واصطلاحاً :

يقول ابن فارس اللغوي في تحديد أصل دلالة كلمة " الدخيل" : الدال والخاء واللام أصل مطرد منقاس، وهو الولوج. يقال : دخل،يدخل، دخولا.... وبنو فلان في بني فلان دخيل: إذا انتسبوا معهم... ودخيل الذي يداخلك في أمورك [iii]. فالدخيل هو ولوج ذي أصل غريب في أصل آخر

يخالفه، وهو بهذا الاعتبار طارئ على ما سواه مجتلب إليه. وبهذا يكون الدخيل : "الألفاظ التي دخلت العربية من لغات أخر وحافظت على شكلها ونقلت بصورتها إلى العربية " [iv]. مثل (أسماء الأعلام غالبا) .وهذا الفارق ليس بكبير فكلاهما دخل العربية من لغات أُخر .

ولم يشع الدخيل في اللغة مصطلحا متفقا عليه بين اللغويين العرب، بهذا التعيين الدقيق، فقد أطلقوا على المفردات الأجنبية التي دخلت في اللغة العربية اسم" المعرّب والدخيل"، وبدأ الدخيل في العربية الفصحى يعرف، ويسمى مقرونا بالأعجمي والمعرّب والمولد، فالأعجمي في عرف القدماء ضدّ العربي، أو كل ما ليس بعربي. وسمّي الأعجم بذلك، لأنه لا يفصح ولا يبيّن كلامه، وكل من لا يقدر على الكلام أصلا فهو أعجم. أما العربي فهو الذي يُفصح ويُعرب عما في نفسه. والدخيل أعجمي الأصل لكونه صدر ابتداء عن أؤلئك الأعاجم، وعله ازدواج التسمية مردها إلى اعتبارين في التقدير: الأول : اعتبار لغوي يتجه بالتسمية إلى أصل الاشتقاق: " عجم" والعجماء في هذه المادة : البهيمة، سميت بذلك لأنها لا تتكلم، وما سمّي الأعجم أعجما إلا لأنه لا يتكلم، بل لأنهم لا يفهمون كلامه، ومن هنا قالوا: اللسان الأعجمي، والكلام الأعجمي، والرجل الأعجمي.

اما الاعتبار الثاني، فيتجه بالتسمية إلى المعنى اللغوي العام في أصل لفظة الدخيل لغة، وهو ما ارتضاه المحدثون بديلا عن الأعجمي لاقتناعهم الداخلي بان اللسان الأعجمي يمكن أن يُفصح، والكلام الأعجمي يمكن أن يفهم.

فإطلاق اللغويين مصطلحي" الدخيل" و" الأعجمي " على ما دخل اللغة العربية من مفردات أجنبية لا ينطوي على خلل كبير بالحقائق، وقد يقبل أيضا مثل هذا التوسع والترخيص بضم" المعرّب" إليهما على التعميم أو التغليب.

وثمة حقيقة مبدئية لا يمكن إنكارها هي كون المعرّب دخيلا أو أعجميا في الأصل، إي قبل أن يُعرب. ولكن امرأ أساسيا يستتبع هذه الحقيقة، هو أن هذا المعرّب اكتسب بتعريبه صفه جديدة عند المعرّبين واللغويين، وإلا اعتبر عملهم ملغى، ثم إنه بهذا التعريب تغير شكله وجرسه، وربما دلالته، وبالتالي لم يبق هو هو.

فالمعرّب يطلق على اللفظ المنقول إلى العربية في عصر الاحتجاج، وقد يرد في القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف،أو الشعر، أو كلام العرب الذين يحتج بكلامهم، والذين سلمت ألسنتهم من شوائب العجمة وطوارئ اللحن.

ويعتبر سيبويه أول من فصل القول في مدلول التعريب فقال:" اعلم أنهم مما يغيرون من الحروف الأعجمية ماليس من حروفهم البتة. فربما ألحقوه ببناء كلامهم، وربما لم يلحقوه (درهم = هجرع؛ بهرج = سلهب؛ دينار = ديماس...) وربما غيرا حالة من حالة الأعجمية مع إلحاقهم بالعربية غير الحروف العربية، فأبدلوا مكان الحرف الذي هو للعرب عربياً غيره، وغيره الحركة وأبدلوا مكان الزيادة ولا يبلغون الإضافة ويزيدون كما يزيدون فيما يبلغون به البناء وما لا يبلغون به بناءهم (آجر؛ إبريسم؛ سراويل...). وربما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم،لاكان على بنائهم أو لم يكن (خراسان؛ خرم...). وربما غيروا الحرف الذي ليس من حروفهم ولم يغيروه عن بنائه"[v]. والجواهري يعرف التعريب بقوله: " تعريب الاسم العجمي : أن تتفوه به العرب على منهاجها. نقول عربته العرب وأعربته أيضًا"[vi]. ويعرف الزمخشري التعريب بقوله :" إن معنى التعريب أن يُجعل عربيًا بالتشرف فيه، وتغيره عن مناهجه وإجرائه على وجه الأعراب" [vii]

والمعرّب عند السيوطي هو " ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها"[viii]، والمعرب في الاصطلاح " اللفظ الأجنبي الذي غيره العرب بالنقص أو الزيادة أو القلب أو الإبدال"[ix]

وفي هذا الصدد، يكشف لنا الاستاذ" إدريس السغروشني" عن فرق رئيس لم تنتبه له الكتب القديمة، في مقال له حول الاقتراض، قائلا: "كما اننا لا نجدها تميز بين المعرّب الذي لجأت إليه الضرورة كما حدث في المجالات العلمية والتنظيمية والمؤسستية، وبين الدخيل الذي تسرب إلى اللغة العربية بسب وجود الموالي الذين كانوا يعيشون داخل المجتمع العربي، والذين مارسوا الازدواجية فترة من الزمن، قبل ان يصبحوا من المستعربة".[x]

ثالثًا: الاتجاهات والمعايير المستخدمة في تحديد دلالة مصطلحات " المعرّب، الدخيل، المولد ".

وثمة خلط بين المعرّب والدخيل والمولد، سنحاول رصده بجرد مختلف الاتجاهات والمعايير المستخدمة في تحديد دلالة هذه المصطلحات. فهناك من اللغويين من اعتمد معي، الزمن، وحدد إطارا زمنيا

للكلام الذي يصح الاحتجاج به، وهذا الإطار هو ما سمي بعصر الاحتجاج، وعلى هذا الأساس عرفوا المعرّب والدخيل والمولد:

فالمعرّب عند هؤلاء هو لقط استعاره العرب الخلص في عصر الاحتجاج من أمه أخرى، واستعملوه في لسانهم، مثل: السندس(ضرب من نسيج الديباج او الحرير) والزنجبيل (الخمر أو نبات) والسراط(السبيل الواضح) والإبريق [xi]. ومع إشارة بعض المحدثين إلى أن الدخيل مصطلح أطلقه على الكلمات التي لا علاقة لها بالجذور العربية، ولا حتى باشتقاقاتها[xii]

والدخيل هو لفظ أخذته العربية في مرحلة متأخرة عن عصر الاحتجاج، وتأتي الكلمة الدخيلة كما هو أو بتحريف طفيف في النطق [xiii].

وذهب بعض الدارسين ممن اعتمدوا هذا المعيار إلى جعل (الدخيل) مصطلحا عاما يشمل ما دخل العربية من مفردات أجنبية سواء أكان ذلك على عهد العرب الذين يحتج بهم، أم كان في عهد المولدين الذين عاشوا بعد ذلك. ثم ينفرد ما كان في عصر الاحتجاج بمصطلح (المعرّب)، في حين يطلق على ما دخل بعد ذلك العصر على أيدي المولدين مصطلح (الأعجمي المولد) [xiv].

لكن فريقا آخر من اللغويين والدارسين رأى صعوبة الفصل بين ما دخل في عصر الاحتجاج، وما دخل بعد ذلك، ولاحظ أن في الاعتماد على المعيار الزمني إهمالا للطرق التي عاملت بها العربية ما دخلها من ألفاظ من حيث إجراؤها على أنساق العربية، أو عدمه، ولذلك عمد هذا الفريق إلى اعتبار البنية اللغوية معيارا للتفرقة بين الدخيل والمعرّب على النحو التالي:

- فالمعرّب : لفظ مقترض من اللغات الأجنبية وضع في الصيغ والقوالب العربية.
- والدخيل : لفظ دخل العربية من اللغات الأجنبية بلفظه أو بتحريف طفيف في نطقه [xv].

وينطبق هذا بالطبع على جميع العصور العربية دونما تقييد بعصر دون آخر.

واختار دارسون آخرون تعميم مصطلح(الدخيل) دون الالتفات إلى أي معيار مستمد من الزمان أو البناء، وعلى ذلك عرفوا الدخيل بأنه" ما نقل إلى لغة العرب سواء جرت عليه أحكام التعريف أم لم تجر عليه وسواء أكان في عصر الاستشهاد أم بعد". أما المعرّب فهو" الدخيل الذي جرى عليه الأبنية العربية" [xvi].

وهذا في رأيي أكثر التعريفات توفيقا، لتخلصه من المزالق التصنيفية التي وقع فيها أصحاب التعريفات السابقة.

أما مصطلح (المولد)، فقد وضعه القدماء صفة للتغيير الذي ظهر بعد عصر الاحتجاج أيا كان نوعه، لذلك اعتبر القدماء كل لفظ أو تركيب جاء عن طريق الاشتقاق، أو تحويل الدلالة , أو التعريب، أو حدوث تعديل أو تحريف أو لحن في الصيغة تكلّم به المولدون أو العامة بعد عصر الاحتجاج من المولد، فالمعيار هنا ما هو ملحوظ معيارا زمني لا يفرق بين أنواع التغير اللغوي، بل يجعلها جميعا على صعيد واحد.

ويستطيع الدارس أن يميز بين الأنواع، فالاشتقاق القياسي وتحويل الدلالة هما سبيل اللغة للبقاء حية ومتطورة، لذلك لا فائدة من الجري وراء رأي القدماء في هذا الموقف المتشدد.

أما المعرّب الذي عدوه من المولد فهو من الدخيل الذي أجرته العرب على أبنيتها، سواء أكان في عصر الاحتجاج أم بعده، لذلك يستحسن إخراج المعرّب من المولد، لأنه اقتراض لا توليد.

ومن أمثلة هذا الخلط، وهي غيض من فيض، (ما جاء في ذيل" الفصيح" للموفق البغدادي أن كابوس من مولدة، وهي كلمة آرامية KOBOUCHO من KBACH بمعني داس وضغط. وقالوا في ستي التي هي اختزال لسيدتي أنها مولدة، وان ستّ لا تعرف إلا في العدد. ويقول الزجاجي في " أماليه أما الفالوذج فهو أعجمي، والفالوذق مولد مع أن الكلمتين من أصل واحد وهو فالودة بمعنى معصور.... وقالوا الكيمياء لفظة مولدة من (CHIMIYA) يونانية معربة [xvii].

وبناء على ما تقدم، نذهب مع حسن ظاظا إلى أن المولد هو لفظ عربي البناء أعطى في اللغة الحديثة معنى مختلفا عما كان العرب يعرفونه، مثل، الجريدة، المجلة، السيارة، الطيارة .

ويمكن القول في هذا المجال المتعلق بضبط التعريب إن أمر المعرّب شديد التعقيد لا يمكن الفصل فيه برأي قاطع ، لذلك كان تعامل العلماء الأوائل والمترجمين مع المعرب مرنًا، وهذا ما يعكس اهتمام العلماء الأوائل على الجانب الصوتي، إضافة إلى تطور المجتمع اللغوي وتعرضه لمثرات لغوية أجنبية وتفاوت تلك المؤثرات قوة وضعفًا تسهم هي الأخرى في تغيير نظرة مستعمل اللغة إلى المعرّب.[xviii]

وعصارة القول، أن مصطلح الدخيل أعم وأشمل من المعرّب فالمعرّب هو دخيل أو أعجمي في الأصل، قبل أن يعرّب، والدخيل يطلق على كل ما دخل في اللغة العربية من اللغات الأجنبية، سواء أكان ذلك في عصر الاحتجاج أم بعده، وسواء اخضع عند التعريب للأصوات والأبنية العربية أم لم يخضع، وسواء أكان نكرة أم علما. ولذلك سمى الخفاجي كتابه" شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل"، فهو بذلك يشمل المعرّب والمولد والأعجمي(انظر البنية الشجرية أسفله). ولكن التوصل في العصر

الحديث إلى كشف لغات وكتابات بأكملها، وتطور وسائل البحث اللغوي التاريخي والمقارن، وتقدم علوم الأصوات اللغوية، واتساع

المعلومات التي يقدمها علم اللغة العام، كل ذلك يجعل حجم المعرّب والدخيل ودراستها، وحصرهما، أمرا تجب إعادة النظر فيه [xix].وخصوصا بعد التعرض لاختلاف القدماء حول وجود المعرّب في القرآن الكريم.

وهنا نشير إلى أن هناك توسع في مفهوم التعريب حديثًا لكونه من بين المصطلحات النشيطة في اللغة العربية، الأمر الذي أعطى لهذا المفهوم أبعادًا جديدة وأكسبه مفهومات حديثة وفي هذا السياق يتبين أن الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية تكون من خلالها كلمة "تعريب" مرادفة لكلمة ترجمة. والتعريب يكون بصفة عامة صياغة الأفكار والمعاني والمعارف والتجارب الأجنبية صياغة عربية؛ لفظًا أو معنى أو وزنًا . كما أنه يعني معنى خاصًا، وهو التعريب الاجتماعي الذي يعني سيادة الفكر العربي على مجمل حياة المجتمع، كما أنه يعني استعمال اللغة العربية بصفة رسمية ومطلقة في التعليم والإدارة والاقتصاد والتجارة والتشريع والقضاء.[xx]

رابعا: المعرّب والدخيل في القرآن الكريم والحجج الدائرة حول ذلك:

نزل القرآن الكريم بلغة عربية تتجلى فيها أفصح اللهجات وأعلاها، وكانت هذه اللغة المتخيرة المتمثلة لخصائص العربية في بواديها وحواضرها وقبائلها، قد توحدت عند نزول القرآن الكريم، لكنهم لمكانة قريش والحجاز– دينيا وتجاريا وجغرافيا– رأوا أن يكتب بلهجة قريش، خشية الاختلاف، وتفاديا لكتابته بلهجات محلية لا يعرفها العرب جميعا، وتلك اللغة اجتمع العرب على وحدتها قبل الإسلام، ثم رسخ القرآن جذورها فقد كان من إعجازه أن جاءهم بأفصح ما انتهت إليه لغات العرب جميعا، وقال أبو عبيده: (إنما نزل القرآن بلسان عربي مبين).، مصداقا لقوله تعالى في سورة الشعراء ١٩٥: (**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**)، وفي آية ٤ من سورة ابراهيم يقول الله تعالى: : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) ولم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وجهه إلى أن يسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم عن معانية، وعما فيه مما في كلام العرب. [xxi]

وقد أدرك العلماء في العصر الإسلامي الأول علاقة الألفاظ باللغة والقرآن والحديث، ورأوا أن في القرآن الكريم ألفاظا اصطلحوا على تسميتها بالغرائب، وليس المراد بغرائبها أنها منكرة أو نافرة أو شاذة، فالقرآن منزه عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة ههنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل، حيث لا يتساوي في العلم بها أهلها وسائر الناس.

واللفظة الغريبة في قبيلة قد تكون مألوفة في قبيلة أخرى، وكذا الأمر في المكان والزمان فالغرابة هنا نسبية، وجملة ما عدوه في القرآن الكريم كله سبعمائة لفظة أو تزيد قليلا، ومنشأ الغرابة في ما عدوه من الغريب أن يكون ذلك من لغات متفرقة أو تكون اللفظة الغريبة مستعملة على وجه من وجوه الوضع، يخرجها مخرج الغريب.

وكان الصحابة(رضوان الله عليهم)، يُسمّون فهم هذا الغريب(إعراب القرآن)، لأنهم يستبينون معانيه ويخلصونها. وقد عد العلماء من غير لغات العرب أكثر من مائة لفظه، تراجع إلى لغات الفرس والروم والنبط والحبشة والبربر والسريان والعبران والقبط، وهي كلمات أخرجتها العرب على أوزان لغتها، وأجرتها في فصيحها فصارت بذلك عربية [xxii].

وقال أبو حاتم الرازي في باب" الأسماء الأعجمية في القرآن" : (فمنها ما هي قديمة في كلام العرب، اشتقاقاتها معروفة، ومنها أسام دل عليها النبي صلى الله عليه وسلم، في هذه الشريعة، ونزل بها القرآن الكريم فصارت أصولا في الدين وفروعا في الشريعة، لم تكن تعرفها من قبل ذلك، وهي مشتقة من كلام العرب. وأسام جاءت في القرآن، لم تكن العرب تعرفها، ولا غيرهم من الأمم مثل : تسنيم [xxiii]، وسلسبيل [xxiv] وغسلين [xxv] وسجين [xxvi] والرقيم [xxvii] وغير ذلك.

وراح العلماء يبحثون في هذه الألفاظ ليتحققوا أعربية هي أم عجمية، وكانت لهم في ذلك آراء مختلفة مدركين صلة الدراسات اللغوية بالقرآن الكريم وعلوم الدين، وامتثل أمامهم ذلك السؤال الكبير: هل في القرآن الكريم كلام أعجمي؟

ولا تزال الإجابة محل اخذ و رد إلى اليوم، ويلخص السيوطي اختلاف أهل العلم في هذا الموضوع بقوله: (اختلفت الأئمة في وقوع المعرّب في القرآن، فالأكثرون ومنهم الإمام الشافعي وابن جريج وأبو عبيدة... وابن فارس على عدم وقوعه فيه). وأضاف في الإتقان أيضا ص ١٣٧ قائلا: " وأقوى ما رأيته للوقوع... ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن ابي ميسرة التابعي الجليل قال: في القرآن من كل لسان، وروي مثله عن سعيد بن جبير..... ثم رأيت ابن النقيب صرح بذلك فقال: من خصائص

القرآن على سائر الكتب المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ولم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب وانزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير. "[xxviii]

فالاتجاه الأول المتشدد (كابي عبيدة و ابن جرير والشافعي وغيرهم)، يذهب إلى الاحتجاج على عدم الوقوع بالآيات الكريمة التي تنص على عربيته، أو باتساع لغة العرب التي لا يحيط بها إلا نبي، أو توافق في اللغات، قال الإمام فخر الدين الرازي : " ما وقع في القرآن من نحو المشكاة والقسطاط والاستبرق والسجيل لا نُسلّم أنها غير عربية، بل غايته أن وضع العرب فيها وافق لغة أخرى....) [xxix]

ويحتج الفريق الثاني بتوجيه الآيات إلى معنى آخر كقولهم إن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيا، بل تميزه من سائر الكتب السماوية التي نزلت بلسان واحد.

وذهب فريق ثالث إلى تصديق القولين معا، لان هذه الكلمات أصولها أعجمية، إلا أنها دخلت العربية فحُوّلت عن ألفاظ العجم إلى ألفاظ العرب، فصارت عربية، ثمن نزل القرآن وقد اختلطت هذه الكلمات بكلام العرب فمن قال: إنها عربية فهو صادق، ومن قال: إنها عجمية فهو صادق، فهي عجمية باعتبار الأصل، عربية باعتبار الحال [xxx].

وإذا ما أخذنا هذه الجهود اللغوية بمعايير البحث العلمي في ظاهرة الدخيل، نجد أنها ترمي إلى الدفاع عن قضية أخرى في الأصل– هي خدمة النص القرآني– لا يشكل الدخيل فيها أكثر من طرف ثانوي عارض . أما التوقف عن الدخيل، فيتحدد بمدى ما لعلاقة الدخيل بكلم القرآن الكريم من أهمية، لا باعتباره يشكل موضوعا قائما بذاته ينعقد عليه البحث. فقد كان فضل القرآن عظيما على اللغة العربية، إذ دعا الباحثين وعلماء اللغة إلى العناية بلغته، واجتهدوا بتحديد معاني ألفاظه وتفسير آياته وتعلم ضروب البلاغة من إعجازه وفصاحته.

خامسًا: ضوابط لمعرفة الدخيل

استثار القرآن الكريم ملكات علماء اللغة بأسلوبه البياني الرائع ومعانيه السامية، وشحذ هممهم، واستنهض عزائمهم، ثم دفعهم إلى تتبع اللغات التي جاء بها، فنشطوا في وضع القواعد العامة والضوابط المحكمة لمعرفة الألفاظ الدخيلة. قال أبو حيان في الارتشاف: " الأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام:

قسم غيّرته العرب وألحقته بكلامها، فحكم أبنيته في اعتبار الأصلي والزائد والوزن، حكم أبنية الأسماء العربية الوضع،نحو درهم، وبَهْرَج.

وقسم غيّرته ولم تلحقه بأبنية كلامها، فلا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قبله،نحو آجُرّ وسِفْسِير، وقسم تركوه غير مغيّر، فما لم يلحقوه بأبنية كلامهم لم يُعَدّ منها، وما ألحقوه بها عد منها مثال الأول: خراسان، لا يثبُت به فُعَالان، ومثال الثاني: خُزم، الحق بسُلم، وكُزَّكُم ألحِق بقمقم " [xxxi].

وفي مقدمة ما اعتمد عليه اللغويون القدامى من أدلة معرفة الدخيل: السماع فاللفظة المسموعة من العرب الأقحاح مالوا إلى اعتبارها عربية، وراحوا يبحثون عن أصل يشتقونها منه، ومن السماع أيضا تصريح أئمة اللغة أن اللفظ فارسي أو معرّب. ولهم بعد السماع أدلة أخرى تتجه إلى التغيير الذي يجرونه على بنية اللفظ الدخيل، والذي حظيت الحروف فيه بالقسط الأكبر من الاهتمام والمعالجة، ثم اتسعوا في التغيير ليشمل الأوزان والأصوات والحركات مما يندرج تحت علم الصرف[xxxii]. وقد وصف الجواليقي طريقة تغيير اللفظ المعرّب بقوله: اعلم أنهم كثيرا ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفها إلى أقربها مخرجا، وربما أبدلوا ما بعد مخرجه أيضا، والبدال لازم لئلا يدخلوا في كلامهم، ما ليس من حروفهم، (إسماعيل وأصله إشمائيل، اسم في اشم، سلام في شلام،الحُبّ أي الجرة العظيمة في الحب)، وربما غيروا البناء من الكلام الفارسي إلى أبنية العرب، وهذا التغيير يكون بإبدال حرف من حرف، أو زيادة حرف أو نقصان حرف، أو إبدال حركة بحركة، أو إسكان متحرك أو تحريك ساكن، وربما تركوا الحرف على حاله لم يغيروه(درهم و جورب و بستان و بنفسج ودينار) [xxxiii].

وعموما، تعرف عجمة اللفظة عند فقهاء اللغة بوجوه:

١ – النقل، بأن ينقل ذلك أحد أئمة العربية

٢ – خروجه عن أوزان الأسماء العربية نحو "إِبْرَيْسَم"

٣ – أن يكون أوّله نون ثم راء نحو " نرجس".

٤ – أن يكون آخره زاي بعد دال نحو " مهندز"

٥ – أن يجتمع فيها الصاد والجيم نحو" الصولجان والجصّ".

٦-أن يجتمع فيها الجيم والقاف نحو" المنجنيق: التي يرمى بها الحجارة " و " الجوسق: القصر".

٧-أن يكون رباعيا أو خماسيا عاريا من حروف الذلاقة(ب . ف . م . ر . ل . ن) نحو سفرجل، قُذعمل(الضخم من الإبل)، قِرطعب(ما عنده شيء) جَحْمرَش(الأرنب المرضع) " فهذا ما جمعه أبو حيان في شرح التسهيل [xxxiv].

فاللغويون والمعرّبون حاولوا أن يجروا على اللفظ المنقول إلى اللغة العربية أحكام اللفظ العربي، فإذا جاء في كلام العرب مثل ذلك اللفظ في الوزن والحروف، فإنهم ينقلونه بعينه، وتجري عليه أحكام اللفظ في العربية من لام التعريف والتنوين وغير ذلك، وقد بين ذلك سيبويه فقال: "اعلم أنهم مما يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة، فربما ألحقوه بناء كلامهم، وربما لم يلحقوه " [xxxv].

وقد حاول سيبويه بالإلحاق أن يجد للأعجمي الدخيل قوالب وصيغا مستساغة مقبولة عن طريق قواعد العربية ولكنه تعرض لها واصفا محصيا .

وهكذا، عَنِيَ علماء اللغة بتمييز الكلمات الدخيلة الأجنبية وحصرها، وألف بعضهم في ذلك مؤلفات تعنى بالمعرّب في اللغة، وكانت بدايات التأليف في هذا الفن حين تناول علماء اللغة المعرّب في القرآن الكريم، ثم بحثوا في المعرّب في اللغة كلها دون أن يقصروا هذا الفن على المعرّب القرآني. إلا أنهم لم يرسوا هذه الأعمال على أسس مضبوطة، تخرج التعريب من المتاهة التي يوجد فيها، وتقي اللغة العربية من المساوئ التي يمكن أن يجرفها معه. وعليه كيف يمكن حل مشكلة التعريب؟ يقول السغروشني : " يحتاج التعريب إلى ضوابط تخرجه من المتاهة التي يوجد فيها وتفي اللغة العربية من المساوئ التي يمكن أن يجرفها معه، إن اللغة مثل كل الكيانات الكونية تخضع لقوانين؛ فإذا حدث ما يخل بهذه القوانين، حدثت فيها اضطرابات وتعرضت للتفكك"[xxxvi]

وتفاديا للخلط الذي وقع في التفرقة بين المعرّب والدخيل حدد العلماء المحدثين شروطًا تعرف بها عُجمة الكلمة أهمها:[xxxvii]

- خروجها عن الأوزان العربية نحو"إبريسم"، "آمين" على وزن "فاعيل" وهذان الوزنان غير موجودين في أوزان الأسماء العربية.

- اجتماع حرفين لا يجتمعان في كلمة عربية، لذلك حكم اللغويون على "الطاجين" و"صولجان" و"منجنيق" بأنها أعجمية، لاشتمال الكلمة الأولى على الطاء، والجيم، والثانية على الصاد والجيم، والثالثة على القاف والجيم، وكل هذا لانجده في الكلمات العربية.
- خلو الكلمات الرباعية والخماسية من حروف الذلاقة(ب،ر،ف،م،ن) ويستثنى من كلمة "عسجد" أي الذهب إذ نص العلماء على عروبتها.

وانطلاقًا من اهتمام علماء اللغة على تتبع الألفاظ الوافدة إلى اللغة العربية من أجل أن لا يدخل إليها ألفاظ أجنبية، لذا كان العلماء العرب على دراية واسعة بهذه القضية وعليه وجدوا أنفسهم امام أدوات جديدة أعجمية، لذلك عملوا على ضم الجديد إلى أبنية العربية إن وجد على أدوات تلك الأبنية، فإن لم يجده عمد إلى شيء من التغيير القليل أو الكثير ليأتي الجديد موافقاً فيُضم إلى العربية.[xxxviii].

الخاتمة:

حاول الباحث تتبع مصطلحي المعرّب والدخيل ،في اللغة والاصطلاح وبيان الفروق بينهما من الناحية البنائية المعيارية خاصة بعد ما غير عما كان عليه في لغته الأم معربًا وعد ما لم يُغير عما كان عليه دخيلاً. كذلك بين البحث ظهور الألفاظ المعرّبة قد حصل فيها تغيرات عن التعريب، والسبب يعود من أجل انسجامها مع بناء الكلمة العربية. وعلى ذلك سلك المهتمون بمجال التعريب مسالكة متعددة إلى أن توسع مفهومه وأصبح من المصطلحات النشطة التي اكتسبت مفاهيم جديدة لها مبرراتها وأسبابها التي تخدم اللغة.

المراجع

- الإبهاج في شرح المنهاج (شرح على منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي)، علي بن عبد الكافي السبكي وولده عبد الوهاب، دراسة وتحقيق : أحمد جمال الزمزمي، نور الدين عبد الجبار صغيري، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ط ١،٢٠٠٤ م .

- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين،ط٤، بيروت ١٩٨٧.
- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة،تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩.
- ايلاف موسى كاظم، المعرّب والدخيل في اللغة العربية، كلية الحكمة الجامعة، العراق، ٢٠٢١.
- جلال الدين المحلي، شرح جمع الجوامع
- الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تعليق: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٨،١.
- خطابي، محمد، أشكال المصطلح تعريبها وصيغها في المعاجم الأدبية، دراسات وأبحاث معجمية، تراثية وأدبية، منشورات كلية الآداب جامعة الحسن الثاني، المغرب،٢٠٠٩.
- رمضان، عبد التواب، فصول في فقه اللغة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط١٩٨٧،٣.
- الزيدي، كاصد، فقه اللغة العربية، دار الفرقان للطباعة والنشر، عمان- الأردن،٢٠٠٤.
- السغروشني، إدريس، مقالة منشورة حول الاقتراض،بكتاب اللسانيات المقارنة واللغات في المغرب، منشورات كلية الآداب بالرباط، ١٩٩٦
- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٢.
- السيوطي، الاتقان في علوم القرآن
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٨.
- شاهين، عبد الصبور، العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦.
- ظاظا، حسن، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٠.
- قدور، أحمد، مدخل إلى فقه اللغة، دار الفكر المعاصر،سوريا، دمشق، ط١٩٩٩،٢.

- كارم السيد غنيم، اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة في عالمنا العربي، مجلة الفكر مج.١٩، العدد.،١٩٨٩.
- محمد الأمين المحبي، قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، تحقيق وشرح: عثمان محمود الصيني، مكتبة التوبة،السعودية– الرياض،١٩٩٤.
- محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، دار المدني، السعودية، الطبعة١، ١٩٨٦.
- محمود بن عمر أبو القاسم جار الله الزمخشري، الكشاف، عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة،ط٢٠٠٩،٣.
- محي الدين صابر، التعريب والمصطلح ،مجلة اللسان العربي، العدد ٢٨،.١٩٨٧.
- مسعود بوبو، أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،١٩٨٩.
- مصطفى صادق الرافعي،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،المكتبة العصرية،٢٠٠٣.
- المعجم الوسيط،نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الفكر بيروت، ط٢، ١٩٧٩.

[i] –مدخل إلى فقه اللغة، د.أحمد محمد قدور، ص١٤٧.

[ii] محمد خطابي، أشكال المصطلح تعريبها وصيغها في المعاجم الأدبية، دراسات وأبحاث معجمية، تراثية وأدبية، منشورات كلية الآداب جامعة الحسن الثاني، المغرب،٢٠٠٩، ص٣٥٠–٣٥١.

[iii] – معجم مقاييس اللغة، مادة "دخل" ص ٢٣.

[iv] – كاصد الزيدي، فقه اللغة العربية،ص٣١٣, و رمضان عبد النواب , فصول في فقه العربية ,ص ٣١٤

[v] سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان ، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي،ط ٢، ١٩٨٢، القاهرة، ج٤، ص٣٠٣–٣٠٤.

[vi] أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية

[vii] محمود بن عمر أبو القاسم جار الله الزمخشري، الكشاف، عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

[viii] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، م٢، ص٣٠٣.

[ix] المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٢٠١١،٥.

[x] إدريس السغروشني، مقالة منشورة حول الاقتراض،بكتاب اللسانيات المقارنة واللغات في المغرب، منشورات كلية الآداب بالرباط، ١٩٩٦،ص١٢٧.

[xi] – د. حسن ظاظا،كلام العرب من قضايا اللغة العربية، ص ٦٧ .

[xii] عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، ص٧٨.

[xiii] – د. مسعود بوبو، أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، ص ٤٥-٤٦ .

[xiv] – د. أحمد محمد قدور،مدخل إلى فقه اللغة العربية، ص ٢٣٠ .

[xv] – المرجع السابق، ص ٢٣٠ .

[xvi] – المرجع السابق د. أحمد قدور، ص ٢٣١.

[xvii] – د. إدريس السغروشني، اللسانيات المقارنة واللغات في المغرب، ص ١٣٣ .

[xviii] محمد خطابي، أشكال المصطلح تعريبها وصيغها في المعاجم الأدبية،ص ٣٥٤.

[xix] – د. حسن ظاظا،كلام العرب من قضايا اللغة العربية، مرجع سابق،ص ٦٢ .

[xx] ينظر كارم السيد غنيم، اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة في عالمنا العربي، مجلة الفكر مج.١٩، العدد٤،١٩٨٩،ص٦٤. وكذلك ينظر محي الدين صابر، التعريب والمصطلح ،مجلة اللسان العربي، العدد٢٨،١٩٨٧،ص١١.

[xxi] ينظر جلال الدين المحلي، شرح جمع الجوامع،م١،ص٣٠٦. وكذلك شمس الدين الاصفهاني، شرح المختصر، م١،ص١٧٠. وكذلك ينظر ابن السبكي ، الإبهاج في شرح المنهاج،م١،ص٢٨٢.

[xxii] – مصطفى صادق الرافعي،إعجاز القرآن، ص٧٤.

[xxiii] – قال تعالى : (ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون) سورة المطففين، آية ٢٨. وتسنيم : عين في الجنة.

[xxiv] – قال تعالى : (عينا فيها تسمى سلسبيلا) سورة الإنسان، آية ١٨. وهي : الخمر، الماء العذب السهل المساغ، عين في الجنة.

[xxv] – قال تعالى : (ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون) سورة الحاقة، آية ٣٦. قيل : شديد الحر .

[xxvi] – قال تعالى : (كلآ إن كتاب الفجّار لفي سجين) سورة المطففين، آية ٧ . وهي من السجن .

[xxvii] – قال تعالى : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) سورة الكهف، آية ٩ . والرقيم : لوح كتب فيه أسماءهم.

[xxviii] السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، م١،ص٣٩٣.

[xxix] -جلال الدين السيوطي، الإتقان، ص ١٣٦ .

[xxx] -جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص ٢١٠.

[xxxi] – جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها،ص ٢١٢.

[xxxii] ينظر توفيق محمد شاهين، عوامل تنمية اللغة العربية،ص١٥٧. وكذلك محمد الأمين المحبي، قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، تحقيق وشرح: عثمان محمود الصيني، ص١٢١.

[xxxiii] – أو منصور الجواليقي، المعرب، ص ٩٤ .

[xxxiv] – جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص ٢١٣ .

[xxxv] - الكتاب لسيبويه،ج٤، ص ٣٠٣ .

[xxxvi] إدريس السغروشني، اللسانيات المقارنة واللغات في المغرب، ص ١٣٥.

[xxxvii] ايلاف موسى كاظم، المعرّب والدخيل في اللغة العربية، كلية الحكمة الجامعة، العراق، ٢٠٢١، ص٠-١١

[xxxviii] نفسه، ص ٩.